الصهيونية قامت بتنفيذ مخططها واستولت على قسم من البلاد لذلك طالبوا الحكومة العثمانية بتلبية دعوة السكان لايقاف الخطر الصهيوني قبل ضياع فلسطين(٦٠).

ولما اخذت الحركة الصهيونية تغدق الوعود على الاصلاحيين العرب نهض عيسى داود العيسى ـ صاحب جريدة فلسطين ـ للرد على تضليلها للرأي العام العربي واوضح الرفق الكبير بين تصريحات الزعماء الصهيونيين على صفحات الجرائد العربية وبين القرارات التي يتخذونها في مؤتمراتهم ، واستشهد بما يلحق بأهالي فلسطين من افعالهم وأكد أن جميع التصريحات الصهيونية ما هي الا تمويه وخداع كوسيلة لتضليل الراي العام(٦١).

وعندما أبدى رفيق العظم ـ رئيس حزب اللامركزية ـ في اول يونيو ١٩١٤ استعداده للسعي لدى أعيان فلسطين لانتخاب ممثلين عنهم في المؤتمر المقترح عقده في القاهرة بين حزب اللامركزية والحركة الصهيونية عارض نجيب نصار هذا الاقتراح بشدة وذكر ان اتفاق العرب والصهيونيين مستحيل ، وتعجب كيف يتم الاتفاق مع قوم يقررون في مؤتمراتهم العمل على ايجاد وطن يهودي في فلسطين ، وحمل على أعيان فلسطين بعنف فقال : « ... ان مصائب فلسطين تأتيها من بعض سراتها اكثر مما تأتيها من الصهيونيين ، لان هؤلاء السراة هم سماسرة الصهيونيين والبياعين لهم » . ثم نوهت الكرمل بدور الشبيبة الفلسطينية التي اخذت تدرك حقيقة خطر الحركة الصهيونية(٦٢). ثم هاجم نصار بعنف كل من شبلي شميل ويعقوب صروف ونمر فارس ورفيق العظم لموقفهم المتخاذل من الحركة الصهيونية واتهمهم باهمال الواجب الوطني والسعي وراء المنافع الخاصة ، ومحاولة كم افواه المعارضين للحركة الصهيونية وتخدير المتنبهين لخطرها(٦٣).

وعندما عرّض نصار بالاصلاحيين العرب وبجرائدهم وتهكم عليهم مستفسرا « ... عما اذا كان بيع الاملاك للصهيونيين داخلا في موادهم الاصلاحية » . رد عليه الشيخ احمد طبارة في جريدته « الاصلاح » التي كانت تصدر في بيروت . فأشار الى أن كل ما فعله نصار لايقاف تيار الهجرة لم يتجاوز الضجيج والصراخ ولم يفد ذلك العرب في شيء باستثناء ارتفاع اثمان الاراضي التي اتخذ اصحابها من الضجة التي اثيرت حولهم وسيلة لزيادة نفعهم(٦٤).

ولم يغفر نجيب نصار لحزب اللامركزية سعيه لعقد اتفاق مع الحركة الصهيونية لذلك عندما علم ان حقي العلم « سكرتير اللامركزية » هو رئيس جمعية مقاومة الصهيونية التي تألفت في القاهرة وارسلت منشوراتها الى سائر جهات فلسطين أبدى عدم ارتياحه ونصح الشبيبة الفلسطينية العمل مستقلة عن الزعماء لايجاد « رأي عام عربي ـ عثماني » في فلسطين . ثم طلب منها الاستفادة من التجارب السابقة التي اظهرت اتخاذ الزعماء الشبيبة سلما لبلوغ الغايات الخاصة(٦٥).

وهكذا وقف عرب فلسطين موقفا حاسما من محاولات التفاهم والاتفاق فرفضوها وانكروا على الاصلاحيين العرب سعيهم للتوصل الى اتفاق مع الحركة الصهيونية . فقد كان احساسهم بالخطر الصهيوني عميقا ، وبذلك كان الشعور الشعبي في فلسطين عدائيا جدا للصهيونية ولا يسمح بتنفيذ اي اتفاق معها .

وما ان اشتدت وطأة الحركة الصهيونية على عرب فلسطين حتى استغاث الاعيان في القدس ويافا وغزة في أبريل ١٩١٤ بالمنتدى الادبي العربي في الاستانة وناشدوه العمل بحزم ضد التيار الصهيوني الجارف الذي هدد الموارد الاقتصادية للفلاح والتاجر، ولفتوا الانتباه الى نفوذ الحركة الصهيونية في دوائر الحكم في متصرفية القدس وان حكومة